

[تمهيد]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ
اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا ... أَمَّا بَعْدُ :
فإنَّ العِلْمَ الذي لا بُدَّ مِنْهُ لِكُلِّ قَاصِدٍ ، وَلَا يَسْتَعْنِي عَنْ طَلَبِهِ عَالِمٌ وَلَا عَابِدٌ : عِلْمُ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ ،
وَمَا شَرَعَهُ الرَّسُولُ ﷺ لِأُمَّتِهِ وَسُنَّةُ :

دِينُ النَّبِيِّ وَشَرَعُهُ أَخْبَارُهُ # وَأَجَلُ عِلْمٍ يُقْتَفَى آثَارُهُ

مَنْ كَانَ مُشْتَغِلًا بِهَا وَبَنَشَرَهَا # بَيْنَ الْبَرِيَّةِ لَا عَقَتْ آثَارُهُ ^١
وَمَادَّةُ عِلْمِ الْحَدِيثِ هِيَ : أَقْوَالُهُ ، وَأَفْعَالُهُ ، وَتَقْرِيرَاتُهُ ، وَصِفَاتُهُ الْخُلُقِيَّةُ وَالْخُلُقِيَّةُ .

ولا سَبِيلَ لِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ خِلَالِ دراسة علم مصطلح الحديث ، يقول سليمان الندوي في رسالة
لَطِيفَةٍ لَهُ بِعَنْوَانٍ : " تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها " ^٢ : (... لَمَّا كَانَتْ الْأَحَادِيثُ أَخْبَارًا ، وَجَبَ أَنْ
نَسْتَعْمَلَ فِي نَقْدِهَا ، وَتَمْيِيزِ الصَّحِيحِ مِنْ غَيْرِهِ : أَصُولَ النِّقْدِ الَّتِي نَسْتَعْمِلُهَا فِي سَائِرِ الرِّوَايَاتِ
وَالْأَخْبَارِ الَّتِي تَبْلُغُنَا) أ . هـ

وقد هَيَّأَ اللهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عُلَمَاءَ أَجْلَاءَ ، وَمُحَدِّثُونَ أَوْفِيَاءَ : خَدَمُوا - بِفَضْلِ اللهِ - هَذَا الدِّينَ ،
وَحَفَظُوا سُنَّةَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، فَأَقْنَنُوا فِي طَلَبِ عِلْمِ الْحَدِيثِ الْأَعْمَارَ ، وَاسْتَعَذَبُوا مِنْ أَجْلِهِ الْأَخْطَارَ ،
فَقَعَّدُوا الْقَوَاعِدَ ، وَكَتَبُوا الْفَوَائِدَ مَعَ زَوَائِدَ ؛ حَتَّى بَدَتْ ثِمَارُهُ يَانِعَةً ، وَأُصُولُهُ فِي كُلِّ زَمَانٍ يَافِعَةٌ ، ثُمَّ أَتَى مِنْ
بَعْدِهِمْ ، فَحَذَا حَذْوَهُمْ ، وَسَارَ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ .

فيا لله ... كم من فائدةٍ في بطونِ الكتبِ قَدْ أودعوها ؟! وكم مِنْ عِلَلٍ خَفِيَةٍ غَامِضَةٍ قَدْ
أوضحوها ؟! وكم من تائهٍ في أصولِ المسائلِ قَدْ أرشدوه ؟! وجاهلٍ قَدْ علَّموه ؛ فجزاهم اللهُ عن الإسلامِ
والمسلمين خَيْرَ الْجَزَاءِ ، وَأَجْزَلَ لِهِمِ الْمَثُوبَةِ وَالْعَطَاءِ .

(١) " تضمين من كتاب : " الرسالة للمستطرفة لبيان مشهور كتب السنة للشرفة " للكتاني _ يرحمه الله _ : ص : (٧) .

(٢) " تحقيق معنى السنة " : ص : (١١) .

(وَمَا أَنْ هَذَا الْعِلْمَ - أي : علم السنّة - يَخْتِاجُ إِلَى تَبَصُّرٍ يَحْوِيهِ ، وَتَأْمُلٍ لِمَا فِيهِ ؛ كَثُرَتْ حَاجَةُ الطَّالِبِينَ لِشَرْحِ مَا يُوصَلُّ إِلَى فَهْمِهِ)^١ ويُرتقى به سُلماً إلى العلم به ، فألف الأئمة في ذَلِكَ التَّوَالِيفَ الْحَسَانَ ، وَكَانَ مِنْ تِلْكَ التَّوَالِيفِ الْمُبَارَكَةُ : كِتَابُ " نُزْهَةُ النَّظَرِ " لِلْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ الْعِسْقَلَانِيِّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - . وَلِعَظِمَ نَفْعُ هَذَا الْكِتَابِ ؛ قَامَ شَيْخُنَا الْفَاضِلُ الشَّيْخُ : حَاتِمُ بْنُ عَارِفٍ الشَّرِيفِ - حَفَظَهُ اللَّهُ - بِشَرْحِ هَذَا الْكِتَابِ لِلطَّلَابِ : حَالاً لِأَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ وَزَوَائِدِ .

وَكَانَ أَصْلُ هَذَا الشَّرْحِ الْمُبَارَكِ دُرُوساً أَلْقِيَتْ بِمَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ - حَرَسَهَا اللَّهُ - فِي غُرَةِ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ لِعَامِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بَعْدَ الْأَلْفِ الْأَوَّلَى مِنْ هِجْرَةِ الْمُصْطَفَى عَلَيَّ صَاحِبِهَا أَفْضَلَ صَلَاةٍ وَأَتَمِّ تَسْلِيمٍ .

وَلَكِنْ قَبْلَ الْبَدَاءِ فِي هَذَا الشَّرْحِ ، هُنَاكَ مُقَدِّمَاتٌ ثَلَاثٌ ؛ هِيَ مُمَهِّدَاتٌ :

• المقدمة الأولى : (في فضل هذا العلم)

إِنَّ مِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ ، وَلَا تَخْتَلِفُ الْعُقُولُ السَّالِمَةُ وَفَاقاً عَلَيْهِ : أَنَّ شَرَفَ كُلِّ عِلْمٍ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ ؛ لِذَلِكَ كَانَتْ عُلُومُ السَّنَةِ وَمُلْحَقَاتُهَا بَعْدَ الْكِتَابِ ، خَيْرٌ مَا سَعَى إِلَيْهِ الطَّلَابُ .

وعِلُومُ السَّنَةِ - كُلُّهَا - لَا تَخْرُجُ عَنْ أَحَدِ شَيْئَيْنِ :-

أولهما : (أَصْلُ السَّنَةِ) : وَهِيَ أَقْوَالُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَفْعَالُهُ وَتَقَرِيرَاتُهُ وَمَا إِلَيْهِ .

ثانيهما : (مَا كَانَ مُوَصِلاً لِهَذَا الْأَصْلِ الْعَظِيمِ) : وَيَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ عِلْمٍ يُوَصِّلُ إِلَى هَذَا الْأَصْلِ : مِنْ شَرْحٍ مَعْنَى ، وَجَرْحٍ وَتَغْدِيلٍ ، وَتَضْحِيحٍ وَتَضْعِيفٍ وَمَا إِلَيْهِ .

وهذا الذي أطلق عليه العلماء ، واصطلحت تسميته : بعلم الحديث روايةً ودرايةً .

قال ابن دقيق الأکفاني - يرحمه الله - في كتاب " إرشاد القاصد " ^٢ : (عِلْمُ الْحَدِيثِ الْخَاصُّ بِالرِّوَايَةِ : عِلْمٌ يَشْتَمِلُ عَلَى نَقْلِ أَقْوَالِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَأَفْعَالِهِ ، وَرَوَايَتِهَا ، وَضَبْطِهَا ، وَتَحْرِيرِ الْفَاضِلِ . وَعِلْمُ الْحَدِيثِ الْخَاصُّ بِالدِّرَايَةِ : عِلْمٌ يُطَرِّفُ مِثْلَهُ حَقِيقَةُ الرِّوَايَةِ ، وَشُرُوطِهَا ، وَأَنْوَاعُهَا ، وَأَحْكَامُهَا ، وَحَالَ الرِّوَاةِ ، وَشُرُوطِهِمْ ، وَأَصْنَافِ الْمَرْوِيَّاتِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا) أ.هـ. المراد .

• وعليه : (فَإِنَّ عِلْمَ الْحَدِيثِ رِوَايَةً يَغْتَنِي بِشَيْئَيْنِ :-

أولهما : رِوَايَةُ الْأَحَادِيثِ وَالْأَخْبَارِ ، سَوَاءً أَكَانَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَمْ لِعَبْدِهِ .

(٣) تضمين من كتاب : " الموافقات " للشاطبي - يرحمه الله - (١ / ٥) .

(١) انظر " تدريب الراوي " للسيوطي . يرحمه الله . (١ / ٢٥ - ٢٦) ت / الفارابي .

ثانيهما : ضَبَطُ ألفاظ كُلِّ .

وَأَمَّا عِلْمُ الْحَدِيثِ دِرَآئَةً فَيَعْتَنِي - هُوَ أَيْضًا - بِشَيْئَيْنِ :-

أولهما : الحكم على الروايات صحةً وضعفًا ، وهذا يستلزم منه معرفة الرجال وما إليه .

ثانيهما : استخراج تلك المعاني من الأحاديث (١) .

وهذا الذي يذكره العلماء عند تعريف علم الحديث دراية : بمعرفة حال الراوي - أي : السند -

والمروي . أي : المتن . .

ومن هنا تعلم فائدة وفضل علم الحديث دراية ؛ ذلك أن علم الحديث رواية يفتقر إلى علم الحديث

دراية .

إلاَّ أنَّ فضائل هذا العلم - في الجملة - تظهر من جهتين :-

❏ أولهما :- (أهمية هذا العلم والحاجة إليه) .

❏ والثاني :- (أقوال السلف في فضله) .

❏ فالثاني منهما ، وردت فيه قالات عظيمات ، وكلمات واضحة جليّات .

وبما أن علم المصطلح مبني على دراسة الإسناد ؛ كانت قولات السلف - يرحمهم الله - منصبّة

عليه ؛ ولأن لب علم الحديث وأساسه يرجع إليه .

فها هو الإمام عبد الله بن المبارك - يرحمه الله - [١٨١هـ] يقول كما في " مقدمة مسلم " ^٢ وهو

عند الترمذي في " العلل " ^٣ ، وكذا غيرها : (الإسنادُ مِنَ الدِّينِ ، وَلَوْلَا الإسنادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ ؛ مَا

شَاءَ) .

ولأهمية العلم وجلالة قدره ؛ تَبَّه العلماء إلى حُسن الأخذ عَمَّن يُريدُ الإنسان أن يطلب على يديه

العلم ، وذلك بالسؤال والاختيار للشيخ ^٤ ، ومن ذلك قوله الإمام محمد بن سيرين - يرحمه الله -

[١١٠هـ] المشهورة : " إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ " ^٥ (وَمَعْلُومٌ أَنَّ عِلْمَ الإسنادِ

يُؤْخَذُ عَنِ الرِّجَالِ الرُّوَاةِ ، وَلَيْسَ كُلُّ رَاٍ يُؤْخَذُ عَنْهُ) .

(١) فائدة مستقاة بتصرف من درس بعنوان : (علم الحديث رواية ودراية) للشيخ : صالح الأسمري _ حفظه الله _ .

(٢) " مقدمة مسلم مع شرح النووي " (١ / ١٨) باب بيان أن الإسناد من الدين ... الخ .

(٣) انظر : " شرح علل الترمذي " لابن رجب - يرحمه الله - (١ / ٥٦) حيث رواه مسنداً بلفظ : (الإسناد عندي من الدين ، لولا الإسناد لقال من شاء ؛ ما شاء ، فإذا قيل له من حدثك ؟ بقي !) .

(٤) انظر كتاب " الفقيه والمتفقه " : (باب اختيار الفقهاء الذين يُتَعَلَّمُ منهم) .

(٥) رواه مسلم في " مقدمته " [(١ / ٧٨) مع شرح النووي] ، والخطيب البغدادي في " الفقيه والمتفقه " (٢ / ١٩١) ط / ابن الجزري ، وغيرهم كذلك .

وَحَرَّجَ ابْنُ حِزْبَانَ وَغَيْرُهُ مِنْ طَرِيقِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ حَسَّانَ سَمِعْتُ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ : الإِسْنَادُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ سِلَاحٌ فَبَائِي شَيْءٌ يُقَاتِلُنَ .. ؟ !)^١ .

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - [٥٧ هـ] : (مَا ذَهَابَ الْعِلْمُ إِلَّا ذَهَابَ الْإِسْنَادُ)^٢ .
وَقَالَ الشَّافِعِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - [٢٠٤ هـ] : (مَثَلُ الَّذِي يَطْلُبُ الْحَدِيثَ بِلَا إِسْنَادٍ ؛ كَمَثَلِ خَاطِبٍ لَيْلٍ)^٣ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ كَثِيرٌ كَثِيرٌ ، مُودَعٌ فِي بَطُونِ الْكُتُبِ^٤ .
وَمَا يُلْحَقُ بِمَا سَبَقَ : أَنَّ عِلْمَ الْإِسْنَادِ خِصِيصَةٌ اخْتَصَّ اللَّهُ بِهَا هَذِهِ الْأُمَّةَ الْمَحْمُودِيَّةَ دُونَ سَائِرِ الْأُمَمِ ، وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ جَمْعٌ مِنْ أُولِي التَّحْقِيقِ ، وَمِنْ أَوْلَئِكَ : النَّوَوِيُّ فِي " الْإِرْشَادِ " ، وَابْنُ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيُّ فِي " مَنَاجِزِ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ " ، وَابْنُ الصَّلَاحِ مِنْ قَبْلُ فِي " مَعْرِفَةِ عُلُومِ الْحَدِيثِ " ، وَالسَّيُوطِيُّ وَابْنُ حَزْمٍ ، وَغَيْرُهُمْ كَذَلِكَ .

• (فَائِدَةٌ)^٥ : لَمَّا صُنِّفَتِ الْكُتُبُ الْمُسْنَدَةُ تُرِكَ حِفْظُ الْأَسَانِيدِ ؛ لِأَنَّهُ لَا فَائِدَةَ لَهُ مِنْ جِهَةِ جِهَةِ حِفْظِ الدِّينِ ؛ وَلِأَنَّ الْمُقْصُودَ الْفَهْمُ لَا الْحِفْظُ^٦ .

❏ **وأما الأول :** فهو أهمية هذا العلم والحاجة إليه ، وتظهر من جهاتٍ ؛ أهمها جهتان :
أولهما : أنه بهذا العلم يتم حفظ حديث رسول الله ﷺ من التحريف والتبديل ، ومن ثمَّ كان حفظاً للدين ، (**فلولا الإسناد ، وطلب هذه الطائفة له ، وكثرة مواظبتهم على حفظه ؛ لدُرس منار الإسلام ، وتمكن أهل البدع منه بوضع الحديث ، وقلب الأسانيد ؛ فإن الأخبار إذا تطرّعت هلن وجلود الإبطناد فيها كانت بُتْراً**)^{١٠} .

(٦) تضمين من كتاب : " شرح علل الترمذي " : (١ / ٥٨) .

(١) انظر " شرح الملل " (١ / ٥٨) .

(٢) انظر " فتح المغيث " للسخاوي . يرحمه الله . (٣ / ٢ - ٣) ط / دار الكتب العلمية .

(٣) للاستزادة انظر " مقدمة مسلم مع شرح النووي " (١ / ٧٨ فما بعدها) و " شرح الملل " (١ / ٥٦ فما بعدها) و مقدمة " تدريب الراوي " (١ / ٢٦ فما بعدها) وغيرها .

(٤) ص : (٥٣ ، ١٧٥) ت / نور الدين عتر .

(٥) (٣٧ / ٧) ت / محمد رشاد سالم .

(٦) ص : (٢٥٥) ت / نور الدين عتر .

(٧) هذه الفائدة مستفادة من كلام الشيخ / صالح الأسمرى - حفظه الله - في أحد دروسه بمكة : (علم الحديث رواية ودراية) .

(٨) يقول الحافظ أبو شامة في هذا المعنى كما في كتاب " تدريب الراوي " للسيوطي (١ / ٣١) : (والثاني : حفظ أسانيدنا ومعرفة رجالها ، وتمييز صحيحها من سقيمها ، وهذا كان مهماً ، وقد كُفِيَه المشتغل بالعلم بما صُنِفَ فيه وألّف فيه من الكتب ، فلا فائدة إلى تحصيل ما هو حاصل) .

(٩) تضمين من مقدمة علي حسن عبد الحميد - وفقه الله - لكتاب " الباعث الخفي " نقلاً عن ابن كثير - يرحمه الله - في " معرفة علوم الحديث " (١ / ٨) .

ثانيهما : أنه بهذا العلم وعلى ضوئه يتم استنباط الأحكام الشرعية ، ومن ثمَّ العمل بما فيها ؛ وذلك من خلال تصحيح الحديث أو تضعيفه وما إليه .

• المقدمة الثانية : (ما يتعلق بهذا الشرح) وله جهتان :

الجهة الأولى : منهج شيخنا في هذا الشرح المبارك . ويتلخص فيما يلي :

أولاً : توضيح نزهة النظر ؛ وذلك من خلال : حلِّ ألفاظها ، وفكِّ رموزها ، (كل ذلك على رأي الحافظ ابن حجر - رحمه الله -) .

ومقصود شيخنا - حفظه الله - من ذلك : أن يؤسَّس الطالبُ عِلْمِيًّا في مُصْطَلَح الحديث ؛ إذ إن المهم في ذلك : أن يخرج الطالب وقد عرف أنواع علم الحديث ، وتصورها في ذهنه ؛ حتى يستحضرها في ذهنه متى شاء ، لا أن يدري الخلاف وما إليه من أول أمره ^١ .

ثانياً : عدم ذكر الراجح في المسألة إلا في مواضع معدودة معلومة .

ذلك أن الراجح في المسألة إذا دُكر؛ فإنه لا يخرج عن حالتين - من حيث ذكر الدليل وعدمه - :
الحالة الأولى : (أن يُذكر معه الدليل) : وهذا تظهر مضرتة - على الطلاب المبتدئين - من جهتين :

أولهما : أن دُكرَ الراجح مع الدليل : يستلزم طولاً يُعارضُ المقصود من الدرس ، وهو : توضيح النزهة مع رأي الحافظ ابن حجر - رحمه الله - فقط ، وقد ذكر ذلك الشيخ - حفظه الله - في المقدمة ^٢ .
ثانيهما : أنه سوف يُشَتَّت على الطلاب - الذين لم تحصل لهم الملكة في علم المصطلح - فكرتهم ، ويُوزع همتهم .

لذا ؛ كان من محاسن تعليم المعلم لمن يعلمه شيئاً من العلم : أن يُربيّه بصغار العلم قبل كباره ، أخرج البخاري - رحمه الله - في " صحيحه " ^٣ (معلقاً ، ووصله ابن أبي عاصم بإسناد حسن ، والخطيب بآخر حسن) ^٤ عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال : " كونوا ربّانين حُلُماء فقهاء - وفي نسخة الأصيلي كما في النسخة اليونانية (حكماء علماء) - ، ويقال الرباني : الذي يُربي الناس بصغار العلم قبل كباره " .

(١) هذا ملخص ما قاله شيخنا - حفظه الله - قبل ابتداء شرح نزهة النظر .

(٢) ص : (١) .

(٣) " صحيح البخاري " : (١ / ٢٧) ت / أحمد شاكر - رحمه الله - .

(٤) تضمنين من كتاب : " فتح الباري " لابن حجر - رحمه الله - (١ / ٢١٤) ط / الباز .

قال ابن حجر - يرحمه الله - : (المراد بصغار العلم : ما وضع من مسائله ، وبكباره : ما دق منها)^١ .

الحالة الثانية : (أن يُذكر من غير الدليل) : وهذا لا فائدة من ذكره ؛ بل سوف يجعل الطلاب في تبلبل فكرٍ ، وحيرة تأملٍ ونظرٍ .

ثالثاً : السَّيْرُ على مسلك مُعَيَّنٍ محددٍ منظم ؛ ولذلك تميَّز هذا الشرح بأشياء كثيرة ، على رأسها ثلاثة أشياء :

الشيء الأول : تَعْرِيفُ كُلِّ نَوْعٍ بِحَسَبِ رَأْيِ الحافظ في النزهة ؛ وإن لَمْ يُعَرِّفْهُ الحافظ صراحةً ، فَيُسْتَقَى التعريف من مضمون كلامه .

الشيء الثاني : ذِكْرُ مَظَانٍّ وَكُتُبٍ كُلِّ مُصْطَلَحٍ في نهاية كُلِّ مَبْحَثٍ .

الشيء الثالث : توضيح المسائل ؛ وذلك عن طريق ضرب الأمثلة وشرحها .

الجهة الثانية : كَلِمَاتٌ وَتَوْجِيهَاتٌ لِمَنْ رَامَ فَهْمَ هَذَا الشَّرْحِ الْمُبَارَكِ :

□ **أولاً :** يَنْبَغِي لِمَنْ رَامَ فَهْمَ هَذَا الشَّرْحِ الْمُبَارَكِ : أَنْ يُكْرِّرَ النَّظَرَ فِي طَيَّاتِ صَفَحَاتِهِ ،

وَتَعْدَادِ أَوْزَاقِهِ ، وَأَنْ يَكُونُ جُلُّ هَمِّهِ : الاشتغال بهذا المُنِّ وَشَرْحِهِ ؛ حَتَّى يَتَسَنَّى لَهُ التَّأَسُّسُ

فِي هَذَا الْعِلْمِ ، وَمِنْ ثَمَّ الْإِنْتِقَالُ إِلَى غَيْرِهِ .

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي - يرحمه الله - في " فائدة تشتمل على نبذ من آداب المعلمين

والمُتعلِّمين " : (وَيَجْعَلُ جُلَّ هَمِّهِ وَاشْتِغَالِهِ بِذَلِكَ الْكِتَابِ حِفْظًا عِنْدَ الْإِمْكَانِ ، أَوْ دِرَاسَةً تَكَرَّرَ ؛ بِحَيْثُ

تَصِيرُ مَعَانِيهِ مَعْقُولَةً فِي ذِهْنِهِ مَحْفُوظَةً ، ثُمَّ لَا يَزَالُ يَكْرِّرُ مَا مَرَّ عَلَيْهِ وَيُعِيدُهُ)^٢ . أ . هـ

وَكَيْفَ لَا يَكُونُ التَّكَرُّارُ ! وَهَذَا الْعِلْمَ صَعُبُ الْمَنَالِ ، (لَا يَصَاحُ إِلَّا لِفُحُولِ الرِّجَالِ)^٣ .

□ **ثانياً :** (تنبيهٌ) : ينبغي للمتعلم المبتدأ في هذا الفن وغيره - مَا دَامَ مُبْتَدِئًا - : أَنْ لَا

يُشَتَّتَ ذِهْنَهُ بِشَيْئَيْنِ :

أولهما : كَثْرَةُ الْجَدَلِ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ .

ثانيهما : قِرَاءَةُ الْكُتُبِ الْأُخْرَى ، وَمُحَاوَلَةُ جَمْعِ الْأَقْوَالِ ، وَالْبَحْثُ عَنِ الرَّاجِحِ وَالْدَلِيلِ وَالْإِسْتِدْلَالِ^٤ ،

يقول بدر الدين بن جماعة - يرحمه الله - في " تذكرة السامع والمتكلم " : (وَكَذَلِكَ يَحْذَرُ فِي ابْتِدَاءِ طَلَبِهِ

(٥) " الفتح " : (١ / ٢١٤) .

(١) من ضمن الفتاوى السعدية : (٦٤٥) .

(٢) مقولة منسوبة للإمام الزهري - يرحمه الله - ، ومظنة وجودها في كتب السير والمصطلح ، انظر " فتح المغيث " للسخاوي وغيره كذلك .

(٣) أقصد بذلك من أراد فهم كلام الشيخ وشرحه ؛ وأما من أراد بحث مسألة ، أو كان متقناً في العلم ؛ فلإني لا أعنيه ... !

مِنْ الْمُطَالَعَاتِ فِي تَفَارِيقِ الْمَصَنَّفَاتِ ؛ فَإِنَّهُ يُضَيِّعُ زَمَانَهُ ، وَيُفَرِّقُ ذَهَنَهُ ؛ بَلْ يُعْطِي الْكِتَابَ الَّذِي يَقْرَأُهُ ،
أَوْ الْفَنَ الَّذِي يَأْخُذُهُ ؛ كَلِيَّتَهُ حَتَّى يُتَقَنَّهُ (أ.هـ المراد .^١

□ ثالثاً : طريقة المذاكرة :

١ . (قراءة المتن مع الشرح يومياً) ، وهذه الطريقة لها عدَّة فوائد ، منها :

- فهم الشيء كله أو بعضه .
- إيجاد الإشكاليات والاستفسارات وكتابتها ، ثم محاولة الإجابة عنها ، ومن لم يستطع استنباط الإجابة فليراجع فيها الشيخ .

٢ . (تلخيص الدرس) أو ما يُسمى بكتابة رؤوس الأقلام ، وتقسيم الشرح على أبواب

، وهذه لها عدَّة فوائد ، منها :

- أنه يُصور لك خلاصة ما في الكتاب ، من إحصاء عدد المسائل وما إليه .
- أنه يكون مرجعاً سهلاً لك عند مراجعة المسائل .
- يكون فهرساً للكتاب .

٣ . (مراجعة الدرس عن طريق سماع الشريط أو قراءة المقطع مرَّةً أُخرى) .

٤ . (المراجعة مع أحد طلبة العلم) ، وهذه لها منافع ، منها :

- منافع تربوية ؛ كتعلم أدب الحوار .
- منافع علمية ؛ ذلك أن نسبة الفهم والاستنباط تختلف من شخصٍ لآخر ، وذلك فضل الله يُؤتيه من يشاء ...

- وَمِنَ الْمَنَافِعِ الْعِلْمِيَّةِ : أَنَّهَا مَدْعَاةٌ لِلتَّنَافُسِ الْمَحْمُودِ .

(فائدة) : حاول أن تُصَاحِبَ فِي الطَّلَبِ وَتُرَاجِعَ مَعَ مَنْ هُمْ أَرْسَحُ مِنْكَ فِي الْعِلْمِ قَدَمًا .^٢

{ تنبيه } : ينبغي لمن أراد أن يُراجع مع أحد إخوانه : الحذر من (الانتصار للقول) وكثرة الجدل .

□ رابعاً : وقبل ذلك كله : (تصحيح النية قبل بدء العمل ، وأثناءه ، وبعده) :

(والإخلاص هو سبيل الخلاص) كما قاله ابن القيم في " المفتاح " .

(١) " تذكرة السامع والمتكلم " لابن جماعة _ رحمه الله _ : (١٧٣) الثاني من آداب الطالب مع درسه .

(٢) هناك معايير وصفات ينبغي توفرها في زميل طلب العلم ، من ذلك : (متانة الديانة ، والسلامة من أسباب الفسق والمروءة ، والحرص على الوقت ، وأن يكون سمته وهديه ناطقاً بما تعلمه وأخذه) إلى غير ذلك من الصفات المعلومة المشتهرة بين العلماء .

□ **خامساً :** (دوام الجدِّ والمثابرة) : (فلن تنال المعالي إلا بشقِّ الأنفس ، وفي الحديث : " حُقَّت الجنة بالمكاره " ^١ .

قال الشافعي _ يرحمه الله _ : "حقَّ على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه ، والصبر على كل عارض دون طلبه ، وإخلاص النية لله تعالى في إدراك علمه نصاً واستنباطاً ، والرغبة إلى الله تعالى في العون عليه " (^٢ .

□ **سادساً :** (كثرة الدعاء والإلحاح على الله) : أن يرزقك فهماً ثاقباً صحيحاً .
فهذه ستُّ في بطن ثالثها أربع طرائق ملحقة : تلك عشرة كاملة ؛ ذلك لمن رام فهم هذا الشرح المبارك .

● المقدمة الثالثة : (نبذة عن الشارح - حفظه الله -) والكلام فيها من مناح :

المنحى الأول : (في استظله ونعنته) : حيث هو (حاتم بن عارف بن ناصر الشريف ، من آل عون العبدالة) .

المنحى الثاني : (في مولده) : وذلك من جهتين :

الجهة الأولى : (زمن مولده) : فقد وُلد في سنةٍ خمسٍ وثمانين بعد المائة الثالثة والألف الأولى من هجرة المصطفى ﷺ .

الجهة الثانية : (مكان مولده) : حيث وُلد في مدينة الطائف .

المنحى الثالث : (نشأته وطلبه للعلم) :

نشأ الشيخ - حفظه الله - في الطائف ، وأتمَّ مراحلَه التعليمية فيها ، والتحق بجامعة أم القرى ، وحصل على البكالوريوس والماجستير والدكتوراه منها .

وأما التوجه إلى علم الحديث فكان منذ فترةٍ مبكرةٍ من عمره ، يقول عن نفسه في كتابه ((المنهج المقترح)) : (وَبَعْدَ إِذْ حَبَانِي اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ كُفِّتُ هُنَّ طَلَبَةَ عِلْمِ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ ، وَمِمَّنْ لَهُمْ شَغَفٌ وَاشْتِغَالٌ بِهِ مِنْذُ نُعُومَةِ أَظْفَارِي ، وَقَطَفْتُ مَعَهُ زَهْرَةَ شَبَابِي) أ.هـ . (^٣)

(١) رواه مسلم في " صحيحه " : (٢٨٢٢ . ٢٨٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وعمله عن أنس رضي الله عنه . وأصله في " صحيح البخاري " : (٦٤٨٧) بلفظ : " حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ " ، وهو عند الترمذي وغيره كذلك .
(٢) ما تحت هذه النقطة مأخوذة من كتاب : " تذكرة السامع والمتكلم " : (٥٨ _ ٥٩) .

وكان - حفظه الله - كثير العزلة ، شحيحاً بوقته ، رُزق حبَّ القراءة والبحث والجمع للمسائل في علم المصطلح .

انتفع بعددٍ من العلماء من خلال الدروس والأشرطة العلمية، وله إجازاتٌ عديدهٌ من مشايخ كُثُر .
وفي عام ١٤١١هـ تقريباً بدأ بالاشتغال مع طلبة العلم بالدروس ولكن في نطاقٍ خاص ، وفي عام ١٤١٨هـ انفلت الزمام لصالح طلبة العلم ، فلا يزال ولم يزل معلماً ومريئاً وفقه الله ونفع به .

المنحى الرابع : (مؤلفاته) : للشيخ نتائجٌ علمي في بابين : باب التحقيق ، وباب التأليف .

ففي مجال التحقيق ﷻ : كتاب ((جزء وفيات جماعة من المحدثين)) لأبي مسعود الأصفهاني و ((معجم مشايخ محمد بن عبد الواحد الدقاق)) و ((مشيخة أبي عبد الله الرازي)) و ((مشيخة أبي طاهر ابن أبي السقط)) و ((أحاديث الشيوخ الثقات)) لأبي بكر الأنصاري [رسالة دكتوراه] ، وغيرها كذلك .

وفي مجال التأليف ﷻ : ((المنهج المقترح لفهم المصطلح)) و ((المرسل الخفي وعلاقته بالتدليس ، دراسة نظرية وتطبيقية على مرويات الحسن البصري)) [رسالة ماجستير] و ((نصائح منهجية لطلاب علم السنة النبوية)) و ((العنوان الصحيح للكتاب)) و ((ذيل لسان الميزان)) و ((خلاصة التأصيل لعلم الجرح والتعديل)) و ((إجماع المحدثين)) .
وهناك شروحات مسجلة : كشرح ((معرفة علوم الحديث)) لابن الصلاح ، وشرح ((الموقظة)) للذهبي ، و ((شرح النخبة)) ، وقد أقام في هذه السنة دورة علمية مكثفة عن مصادر السنّة ومناهجها .

فنسأل الله عز وجل أن يُثيبَهُ على ما قَدَّم ، والله أعلى وأعلم ^(١) .

* * *

الخاتمة

{ منهجُ الاعتناء بالكتاب }

ويتلخص فيما يلي :

(٢) معظم ما كان في هذه المناحي السابق ذكرها ، مأخوذاً من موقع أهل الحديث ، فمن أراد الاستزادة فليرجع إليه .

الفائدة الأولى : تسهيل الشرح للباحث حتى يجد بغيته فيه .

الفائدة الثانية : أن تبويب الشرح على مباحث فيه تنشيطُ لعقل القارئ ، وهو مسلكٌ معروفٌ مألوفٌ عند أهل العلم .

- **المقدمة الأولى :** (في فضل هذا العلم) .
 - **المقدمة الثانية :** (ما يتعلق بهذا الشرح) وله جهتان :
 - الجهة الأولى :** منهج شيخنا في هذا الشرح المبارك .
 - الجهة الثانية :** كلماتٌ وتوجيهات لمن رام فهم هذا الشرح .
 - **المقدمة الثالثة :** (ما يتعلق بنبذة عن الشارح — حفظه الله -) .
- وأما الخاتمة :** ففيها منهج الاعتناء بالكتاب .

وذلك من أجل تسهيل الوصول إلى المعلومة المطلوبة من الشريط المسموع دون عناءٍ وتعب .

أولهما : (للدلالة على المتن ، وقد يُوضع على المتن قوسين ، هكذا : () مع تحبير الخط) .

ثانيهما : (اسم الكتب التي تُذكر لأول مرة) .

وأخيراً وليس آخراً _ أخِي الْقَارِئُ _ : فَقَدْ بَجِدَ _ مع هذا الجهد البسيط _ أخطاءً مطبعية ، أو سهواً وسقطاً في هذه النسخة ؛ فلا نَعْدُمُ مِنْكَ نُصْحاً وَتَوْجِيهاً وَإِصْلاحاً لِحَلِّ ؛ تَبْلِيغاً لِلأَمَانَةِ ، فالعمل مُتَعَدِّ لِلخَلْقِ ؛ يُسْتَحَبُّ فيه التعاون والمشاركة ، وقد قال المولى عز وجل : " وتعاونوا على البر والتقوى " [المائدة : ٢] ، وليكن الهمم : " إن أُريدَ إلا الإِصلاح ما استطعت " [هود : ٨٨] ^١ .

السِّفَرُ المبارك ، وعلى رأسهم فضيلة الشيخ : حاتم الشريف - حفظه الله ورعاه ، وسدّد على طريق الخير خطاه - .

فَدُؤْنَكَ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ هَذَا الشَّرْحَ الَّذِي حَمَلَ فِي طَيِّبَاتِ هِ كَثِيرًا مِنَ الْفَوَائِدِ ، وَجَمَعَ فِيهِ مِنَ الْمَسَائِلِ غُرَرَ الْفَرَائِدِ ؛ حَتَّى غَدَتْ مِنْ حُسْنِ الْعِبَارَةِ كَثِيرَةٌ الْمَوَارِدِ لِطَالِبِيهَا ، مُتَنَوِّعَةٌ الْمَوَائِدِ لِمُسْتَهْيِيهَا ، فَقُمْ وَخُذْ مِنْ هَذِهِ الْمَائِدَةِ وَازِمِ بِسَهْمٍ ، عَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَ عَنَّا الْجَهْلَ وَيَرْزُقَنَا الْعِلْمَ .

خُرُرٌ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ فِي لَيْلَةِ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ
لِعَامِ الْفَرِّ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَأَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ لِلْهَجْرَةِ
على صاحبها أفضل صلاة وسلام
كتبه الفقير إلى عفوريه :
وانل بن محمد علي جابر

^١ من كان عنده ملحوظات على النسخة فليضعها مشكوراً في مركز الأنصاري بالعزنية ، أو على صندوق بريد رقم : (٢٠٤٣٩) .